تقارير علمية

حلقة نقاشية
الحرب الروسية الاوكرانية
بين السردية التاريخية والازمة السياسية الراهنة
الاثنين 31/ تشرين الاول /2022

برعاية السيد رئيس الجامعة المستنصرية الاستاذ الدكتور حميد فاضل التميمي وبرئاسة الاستاذ المساعد الدكتورة سؤدد كاظم مهدي رئيس قسم الدراسات التاريخية عُقدت حلقة نقاشية لقسم الدراسات التاريخية بعنوان " الحرب الروسية الاوكرانية بين السردية التاريخية والازمة السياسية الراهنة " القاها الاستاذ الدكتوره فرح صابر/ كلية التربية للعلوم الانسانية (ابن رشد)/جامعة بغداد، هدفت الحلقة استذكار وتحليل الابعاد التاريخية للحرب الروسية الاوكرانية بجذورها التاريخية المختلفة وتحديدا خلال الحرب الباردة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية ومن ثم انهيار الاتحاد السوفيتي في عام 1991وانعكاس ذلك على طبيعة العلاقات الروسية الاوكرانية، هذا وقد عقدت المحاضرة يوم الاثنين الموافق31/ تشرين الاول /2022 وعلى قاعة مركز المستنصرية.

تدلل تفاعلات الحرب الدائرة في أوكرانيا على الطبيعة المعقدة للنظام الدولي الذي تتقاطع فيه قضايا لم تُحسم منذ حقبة مضت، مع تطلعات الاطراف الفاعلة الى موقع ومكانة في نظام جديد لايزال قيد التشكيل. ومع ان التعقيد صفة للنظام الدولي في كل العصور، فقد وصل الى درجة غير مسبوقة في المرحلة الحالية من العلاقات الدولية؛ فبالاضافة الى ماتشهده من تحولات في موازين القوة بين اطرافه الرئيسة، هناك كثافة وتنوع في انماط التفاعل ودرجة كبيرة من الاعتماد المتبادل فيما بينها؛ مما يجعل كل الخيارات صعبة؛ فاستمرار الاعتمادية المتبادلة يمثل نقطة ضعف، في حين فك هذا الارتباط تترتب عليه تكاليف باهظة. تدفع هذه الحالة المراقبين الى محاولة تلمس ملامح نظام عالمي جديد محوره توازنا جديدا للقوى بين اطرافه الرئيسة. وتذهب نظريات التحول في النظام الدولي الى ان الصدمات غير المتوقعة في مثل هذه المراحل، يكون لها في بعض الاحيان تأثير كبير، بحيث تمثل نقطة فاصلة بين انهيار نظام وبزوغ آخر؛ لذلك اهتم المحللون بتأثير حرب اوكرانيا على النظام الدولي وعلى توازنات القوة فيه. ورغم ان الحرب في اوكرانيا لم تبلغ مداها بعد ويظل الاحتمال قائما بحدوث تطورات لها تأثير جذري، عسكريا او سياسيا فانه يمكن الدفع - لو ظلت الحرب في إطارها الحالي- بان المواجهات في اوكرانيا لن تمثل نقطة تحول جذري في شكل النظام الدولي او في توازنات القوة فيه. ارتكز جوهر الخطاب الروسي عن دوافع هذا التحرك العسكري على منطق الجغرافية السياسية فيما يتعلق بتأثير الوضع في اوكرانيا على الامن القومي الروسي. ويأتي التدخل الروسي الحالي في اوكرانيا متسقا مع سياسة روسية تاريخية اعتمدتها في عصور الامبراطورية وعهد الاتحاد السوفييتي، تعتمد على وجود مناطق جغرافية"عازلة" على تخومها، تمثل حاجزا امام الخطر القادم من الغرب؛ حيث السهول المنبسطة في دول شرق اوربا تتيح التقدم السريع للجيوش بلا عوائق طبيعية.

ورغم ظهور اوكرانيا دولة مستقلة بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، فان اهميتها للامن الروسي، لعدة اعتبارات،ماتزال قائمة. وكان من المفترض التوصل الى صيغة بشأن اوكرانيا تكون مقبولة لكل الاطراف بعد انتهاء الحرب الباردة، خاصة ان الجانب الروسي فهم انه لديه ضمانات بعدم تمدد حلف الناتو في جواره بعد ان تم حلّ حلف وارسو، وان الجانب الاوكراني فهم انه حصل على ضمانات تحفظ استقلال دولته وسلامة اراضيها، بعد ان تخلى عن اسلحته النووية. ويمكن تأشير ثلاث امور تصوغ هذه الحرب حتى الان؛ الاول قصور واضح في أداء الجيش الروسي. والثاني هو فاعلية الجيش الاوكراني رغم الفارق في الحجم والامكانيات قياسا بالجيش الروسي. والثالث، ويُعدّ شديد الاهمية، هو تضامن وفاعلية التحالف الغربي، ولو ان التفاعل يتجاوز الغرب، ففيه بصفة اوسع اليابان وكوريا الجنوبية، ودولا اسيوية اخرى. هذا التحالف الغربي كان اساسيا من ناحيتين، احدهما انه تمكن من دعم عقوبات اقتصادية خانقة تجاه روسيا، وانه استطاع تقديم دعم عسكري مادي، وبخاصة اسلحة مضادة للدبابات، واسلحة مضادة للطائرات، وطائرات مسيّرة، للاوكرانيين. وكان شديد الاهمية في استيعاب اللاجئين، وتوفير المساعدات من اجل ذلك.

من جانبه، اختار الغرب ان يستخدم سلاح العقوبات، وان يوظف الاعتماد المتبادل الذي خلقته حالة العولمة، من سيطرة للدولار على المعاملات المصرفية عالميا، واعتماد روسيا على منتجات تكنولوجية غربية الصنع، مثل قطع غيار الطائرات، ليرفع كلفة الحرب عليها بدلا من مواجهتها عسكريا. لقد تركت الحرب الروسية على اوكرانيا تداعيات كثيرة، توضحت بشكل عميق في اوربا . فلقد تغير الامن الاوربي اكثر مما تغير في السنوات الثلاث والثلاثون السابقة التي اعقبت انتهاء الحرب الباردة. فقد واجهت روسيا كتلة اكثر تماسكا واستنفارا في الغرب؛ حيث ان حربها على اوكرانيا اعادت التلاحم الى صيغة عبر الاطلسي، الذي اصيب بالترهل والوهن في ظل ادارة الرئيس الامريكي السابق دونالد ترامب، كما اعادت الحياة الى حلف الناتو الذي كان الرئيس الفرنسي ماكرون قد وصفه مؤخرا بانه في حالة "موت سريري". كذلك اقتربت السويد وفنلندا من الانضمام الى حلف الناتو ، فيما سارعت جورجيا ومولدوفا واوكرانيا الى تقديم طلبها للانضمام الى الاتحاد الاوربي. كما ان الغزو الروسي لاوكرانيا ادى الى انهيار السياسة التي اتبعتها الدول الاوربية تجاه روسيا منذ نهاية الحرب الباردة، والتي اعتمدت على العلاقات الاقتصادية والتجارية، والمصالح المشتركة لدرء خطر مواجهات جديدة.

فرضت الحرب تحديات خطيرة على العالم بأكمله، واخطر تلك التحديات،؛ ازمة اللاجئين، اذ شهدت اوربا تدفق الملايين من الاوكرانيين الى اراضي بلدانها مما شكل عبئا اقتصاديا وماليا وانسانيا مضافا، في وقت تعاني اوربا من مشكلة الهجرة المتفاقمة نحوها منذ سنوات. اضافة الى ذلك هناك ازمتي الطاقة والغذاء. فروسيا منتج كبير للنفط والغاز، وهي لاعب مهم في سوق الطاقة،كما ان اوكرانيا وروسيا من كبار موردي القمح في العالم، وفي ظل الازمة الحالية وامكانية استمراها فان ذلك يعني منزيدا من ارتفاع الاسعار والتضخم، ومزيدا من عدم الاستقرار السياسي، والاضطرابات الاجتماعية لاسيما في البلدان النامية والفقيرة. على اي حال، لااحد يعلم بموعد انتهاء هذه الازمة او نهاية معلومة لهذه الحرب، وبناءا على ذلك لايمكن الجزم بنتائجها ولاتداعياتها، فهي ستظل مفتوحة على كل الاحتمالات.